مركز تكامل للدراسات والأبحاث

دراسات محكمة

تحليل الخطاب في سياق الأزمات

(أزمة كورونا نموذجا)

أمزالا إكرام

باحثة في سلك الدكتوراة، جامعة محمد الخامس، الرباط-المغرب.

13 غشت 2024

ALL RIGHTS RESERVED

جميع الحقوق محفوظة

ملخص:

تقدم هذه الورقة تصورا نظريا لمقاربة الخطاب الذي رافق أزمة "كوفيد19" وتحليله وفق إطار ينهل من أدبيات التحليل النقدي للخطاب. وذلك في سياق هذه الأزمة التي بدأت تداعياتها على الصحة العامة أولا، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مجالات أخرى كالاقتصاد والسياسة والتعليم وغيرها. وقد نتج عن ذلك مجموعة من الخطابات التي واكبت هذه الأزمة، والتي توزعت غاياتها بين التوجيه والتحذير والتحسيس والتأثير.

تنبع أهمية هذه الورقة من إدراكنا لأهمية خطاب الأزمة الذي تشكله الخطابات التي واكبت أزمة كورونا وتفاعلت معها سواء بشكل رسمي عبر الخطاب السياسي(وزارة الداخلية، وزارة الصحة، وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة...) والخطاب الإعلامي (النشرات الإخبارية، الجرائد والصحف الورقية والإلكترونية، المنصات الإلكترونية...، أو عبر الخطابات غير الرسمية كخطابات الجمهور وعامة الناس في استجابتهم للأزمة وتداعياتها؛ وما يمارسه هذا الخطاب من تأثير في عالمنا المعاصر، الذي أضحى عالما متعدد الأزمات.

كلمات مفتاحية: الخطاب-الأزمة- كوفيد19- التحليل النقدي للخطاب- السلطة

Abstract:

This paper presents a theoretical perspective for approaching the discourse that accompanied the "Covid-19" crisis according to a framework that draws from the literature of critical discourse analysis. This is in the context of this crisis, the repercussions of which began on public health first, and then moved to other areas such as economics, politics, education, and others. This resulted in a set of discourses that accompanied this crisis, the goals of which were distributed between guidance, warning, awareness, and influence.

The importance of this paper stems from our awareness of the importance of the crisis discourse that is formed by the discourses that accompanied the Corona crisis and interacted with it, whether officially through political discourse (Ministry of Interior, Ministry of Health, Ministry of National Education, Preschool and Sports...) and media discourse (news bulletins, newspapers and print and electronic newspapers, electronic platforms...), or through unofficial discourses such as the discourses of the public and the general public in their response to the crisis and its repercussions; and the influence that this discourse exerts in our contemporary world, which has become a world of multiple crises.

Keywords: Discourse-Crisis-Covid19-Critical Discourse Analysis-Power

مقدمة

تقدم هذه الورقة تصورا نظريا لقراءة خطاب الأزمة ومقاربته وتحليله وفق إطار علمي يستمد مرجعيته من اللسانيات الوظيفية النسقية وهو التحليل النقدي للخطاب، وذلك في سياق أزمة اجتاحت العالم بأسره وأرقت الإنسانية جمعاء، و الموسومة بأزمة كورونا أو بشكل خاص "كوفيد19"؛ هذه الأخيرة التي بدأت تداعياتها في المجال الصحي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مجالات أخرى كالاقتصاد والسياسة والتعليم... فأضحت تضخ سيلا جارفا من الخطابات: الإعلامية منها، والسياسية والإشهارية والفنية...

عبرت مختلف الخطابات عن الأزمة عبر تحديد ماهيتها وسماتها وتأثيراتها ، كما خلقت جسور التواصل حول كيفية التعامل معها والتكيف مع سياقها الذي يضم في كليته أزمات متعددة (Polycrisis) أفرزتها الأزمة العامة أو "الأم"؛ جائحة "كوفيد19" التي خلقت فوضى عارمة في بداية عام 2020، مما جعلها تكتسب مكانة خاصة في التسلسل الهرمي للأزمات العالمية، ذلك لأنها نوع مختلف من الأزمات لا يشبه أي أزمة أخرى كما وصفها صندوق النقد الدولي، وتنبع فرادتها هذه من طمسها للحدود بين ماهو صحي وماهو اقتصادي، ومايرتبط بالحياة الاجتماعية وكذا النفسية،[1] إنها أزمة اخترقت الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها، وخلقت حيرة وهلعا وخوفا وارتدادا، مما جعل مسألة التواصل تفرض نفسها من قبل صناع القرار أولا، ومن مختلف الفاعلين ضمن مؤسسات الدولة، فضلا عن الإعلاميين وفعاليات المجتمع المدني...وغيرهم ممن أسهم في إنتاج خطاب في سياق الأزمة؛ سواء قصد التوجيه والتحذير، أو الإبلاغ والإخبار، بل وحتى بغية التلاعب والتضليل(خطابات الإشاعة).

تأسيسا على ما سبق تم اقتراح إطار تحليلي علمي وهو التحليل النقدي للخطاب (CDA :Critical Discourse Analysis) لدراسة خطاب أزمة كورونا، بوصفه منظورا عابرا للتخصصات ومقاربة حديثة في تحليل الخطاب، فهو" يعنى بدراسة العلاقات الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، والسلطة التي تكرسها تلك العلاقات على صعيد الممارسة الاجتماعية، وما تحدثه من تغيرات اجتماعية"،[2] وذلك بالضبط هو ما نريد توضيحه في هذا المقام، عبر تقديم تصور نظري لكيفية قراءة خطاب أزمة كورونا ومقاربته استنادا إلى إطار علمي رصين تمكن أدواته وآلياته من فهم طبيعة الخطابات التي تفاعلت مع سياق أزمة كورونا في مجالات مختلفة(الدين- السياسة- التعليم-الإعلام...فضلا عن كشف بنياتها وتشكلاتها اللغوية والدلالية والتداولية في سياقات اجتماعية مختلفة، قد تشكل في مجملها سلطة فعالة تحدث تغيرات اجتماعية.

وفق التصور السابق ذكره، انطلقنا من السؤال الجوهري الآتي: ما الآليات والأدوات المنهجية التي يقدمها التحليل النقدي للخطاب لمقاربة الخطاب الذي واكب أزمة كورونا ؟ وتفاعلنا مع هذا السؤال في هذه الورقة نابع من إدراكنا لأهمية خطاب الأزمة وتأثيره في عالمنا المعاصر، الذي أضحى بدوره عالما متعدد الأزمات، يحتاج إلى دراسة الخطابات

[1]Maha Abdelrahman, Covid-19 and the meaning of crisis, Development and change, Published on behalf of the social studies, The Hague, 2022, p.1153.

2 - محمد يطاوي وآخرون، التحليل النقدي للخطاب مفاهيم ومجالات وتطبيقات، ط.1، (برلين، المركز الديموقراطي العربي، 2019)، ص10.

المتداولة في سياقه وتفكيكها؛ ولذلك ارتأينا أن نتوقف عند بعض التحديدات المفاهيمية للمصطلحات المفاتيح التي سنناقش من خلالها إشكالية هذه الورقة؛ ثم نعرج بعد ذلك إلى بيان كيفية مقاربة خطاب أزمة كورونا من خلال الإطار التحليلي: التحليل النقدي للخطاب.

أولا: تحديدات مفاهيمية

1-مفهوم الخطاب

تشابكت التعريفات التي قدمت لكلمة "خطاب" وتعددت بالنظر إلى الاختلاف بين الاتجاهات والتيارات والنظريات التي تنتمي إلى حقول معرفية متنوعة، أولها قاموس اللغة العربية الذي حضرت فيه الكلمة ضمن لسان العرب لابن منظور؛ في مادة "خطب"...الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال...والمخاطبة والخطابة هي مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا...والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، أما المخاطبة فهي مفاعلة من الخطاب والمشاورة[3]. وقد وردت الكلمة بالدلالة نفسها لدى الفيروز آبادي في القاموس المحيط، حيث يرادف الخطاب "الكلام"[4]، وقد أكد ذلك أيضا ابن فارس في مادة "خطب": "الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين"[5].

يمكن القول، إذن، أن الخطاب في القاموس العربي ارتبط بالكلام وتبادله، فاكتسى بذلك خاصية التفاعل والتخاطب.

وبالنظر إلى الدراسات اللسانية باعتبارها مجال اشتغالنا، فقد اندرجت كلمة خطاب ضمن سلسلة من التقابلات أولها:

ارتباطها بالجملة (خطاب/جملة) حيث يمثل الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة، وهو التحديد الذي قدمه "ز.هاريسZellig Harris" (1952) اللغوي الأمريكي بوصفه أول من أقر بتجاوز الجملة إلى الخطاب في البحث اللساني، وثانيها: تقابله مع اللسان (خطاب/لسان) باعتباره نسقا يشترك فيه أعضاء مجموعة لسانية، فيغدو الخطاب هو الاستعمال المحدود لهذا النسق، فيتمظهر بوصفه تموقعا في حقل خطابي، أو نمط خطاب (صحفي أو إداري...)، أو إنتاجات كلامية مخصوصة لصنف متكلمين (خطاب الممرضات، خطاب ربات العائلات...)، كما قد يمثل وظيفة من وظائف اللغة (خطاب سجالي، خطاب إلزامي...).

وقد ورد أيضا معنى للخطاب في تقابله مع النص (خطاب/نص) مفاده أن الخطاب هو إقحام لنص في مقامه أي وفق ظروف إنتاجه وتقبله، كما عرف أيضا في تقابله مع الملفوظ (خطاب/ملفوظ) بأنه مقابلة بين طريقتي نظر إلى الوحدات المتجاوزة للجملة: باعتبارها وحدة لسانية "ملفوظ"، وباعتبارها أثر فعل تواصل محدد اجتماعيا

3- ابن منظور، الإفريقي. لسان العرب، ط.3، مج.5 (بيروت، دار صادر، 2004)، ص97-98.

- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق محمد البقاعي، ط.1(بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003)، ص 764

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط.1، ج.1، (بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 1999)، ص3685

وتاريخيا[6]؛ وهو التصور الذي عبر عنه الفرنسي "إميل بنفنستEmile Benveniste" الذي اقترح دراسة الخطاب من زاوية التلفظ، وذلك بالتركيز على نظرية التواصل ووظائف اللغة، فقد اعتبره ملفوظا ينظر إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل ، وتلفظا يفترض تأثير المتكلم في المستمع بطريقة ما،[7] وبذلك يبدو أن هذا التصور اللساني قد اهتم بالكلام بوصفه مظهرا لفظيا خاصا بالفرد، وبعناصر عملية التواصل (المرسل والمتلقي باعتبارهما قطبي الفعل التواصلي).

ويعد تصور "دومينيك منغنوMaingueneau Dominique" من الطروحات الرائدة في مجال الخطاب من زاوية لسانية أيضا؛ إذ ركز في تحديده لدلالته على الجانب التداولي بالنظر لاهتمامه بعناصر العملية التواصلية، فاعتبره مميزا بعدة سمات يمكن اختزالها في خاصيتين اثنتين[8]:

- المقامية: بوصف الخطاب مقال خاضع لمقام معين محكوم بأسيقة لغوية خاصة، وهي أسيقة تعد ضرورية لتحقق الخطاب وفهمه؛
- التفاعلية: ربط "منغنو" تصوره للخطاب على أساس الفعل التواصلي الذي يشترط وجود طرفين أو أكثر يتبادلان الأدوار حسب المقام.

وفق ما سبق، يبدو أن الخطاب إنتاج لغوي شفهي أو مكتوب يتجاوز الجملة، ويتأسس على التفاعل بين طرفين أو أكثر وذلك في إطار سياق محدد تحكمه معايير وقواعد مختلفة ومتنوعة تؤثر بدورها في سيرورة بناء الخطاب وتحققه، وتستهدف بالدرجة الأولى تحقيق الأثر؛ وهذا ما يجعل من الخطاب سلطة سواء عبر أدواته اللغوية المستعملة أو من خلال صاحبه أو الذات التي تنجزه وتحققه، وهي الفكرة التي عبر عنها "ميشيل فوكو Michel Foucault" في قوله : "يبدو أن الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه تكشف باكرا وبسرعة عن ارتباطه بالرغبة وبالسلطة... وما المستغرب في ذلك ما دام الخطاب...ليس فقط هو ما يترجم الصراعات أو أنظمة السيطرة، لكنه هو ما نصارع من أجله، وما نصارع به، وهو السلطة التي نحاول الاستيلاء عليها" [9]؛ فالخطاب، بذلك، أداة للتعبير عن الصراع، وهو موضوع الصراع نفسه، والوسيلة التي توظف لتحقيقه، بل هو السلطة نفسها التي نسعى إلى ممارستها.

---

6 – باتريك شارودو ودومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ت.عبد القادر المهيري– حمادي صمود، (تونس، المركز الوطني للترجمة، 2008)، ص180–181.

7 – محمد، الصديقي، بلاغة الخطاب السياسي، ط.1، (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة، 2021) ، ص.51.

8– رشيد، دادة، استراتيجيات الإقناع والتبرير في الخطاب السياسي المغربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب، 2019، ط.2، ص389–390

9– ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ت. محمد سبيلا، ط.3 (لبنان، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2012)، ص.09

2- مفهوم الأزمة

ورد لفظ "الأزمة" في سياقات ومجالات متعددة؛ مما جعله دائم التحول في مسارات المعنى، بدءا بمجال الطب، ومرورا بالاقتصاد والسياسة، ووصولا إلى الحياة الاجتماعية التي تعد مصب كافة الأزمات ومجال انعكاسها وتأثيرها.

"تشير كلمة "أزمة" في اللغة العربية إلى الشدة والضيق وتعسر الأحوال، بينما تعني في اليونانية القرار(Krisis) الذي يدل على اللحظة الحاسمة التي تتيح خلال تطور عملية غير مؤكدة تنفيذ تشخيص، وفي مقابل ذلك تعني الأزمة اليوم (التردد) وهي اللحظة التي يظهر فيها غياب اليقين بالتزامن مع اضطراب ما"[10]، وبذلك فالأزمة ترتبط بالاضطراب والتردد، مما يجعلها-حسب إدغار موران(Edgar Morin)- تنضم إلى منطقة المشكلة، فتكتسي دلالة الكلمة معنى سلبيا في الأحداث المرتبطة بها؛ فيتعذر معها القدرة على اتخاذ موقف محدد اتجاه الأزمات، ومن أهم سمات هذا التردد هو غياب اليقين المتزامن مع حدوث الاضطراب وتعطيل التنظيم؛ على اعتبار أن اليقين يعبر في أبسط معانيه عن الثبات المتأتي من وضوح رؤية أمر ما حتى لو بدا في الظاهر غير مطمئن[11]؛ وبذلك فالأزمة وفق التفسير السابق تتخذ الدلالة نفسها التي وردت في أصل اللغة، وهو ارتباطها بتعسر الأحوال واضطرابها في لحظة من اللحظات التي تقتضي اتخاذ موقف أو قرار ينقلنا من حالة اللايقين والتوتر إلى حالة الثبات واليقين والاستقرار.

يبدو أن معظم الباحثين الغربيين اتفقوا عامة على فهم مصطلح "الأزمة" انسجاما مع معانيها اليونانية القديمة، والتي تدل غالبا على "القرار الحاسم"، إضافة إلى معان كثيرة أخرى من قبيل "الانقطاع" و"الحكم" و"اللحظة الحاسمة"، وقد قام المؤرخ الألماني "راينهارت كوسلكReinhart Koselleck" بتحقيق اصطلاحي مرجعي حول هذا المفهوم، بداية من أطروحة عنوانها "النقد والأزمة: بحث في الوظيفة السياسية" لرؤية العالم الثنائية" سنة 1954، وكذا في مقالة خاصة عمق فيها دلالة المفهوم؛ حيث أشار إلى أن له تاريخ طويل ومتعدد الدلالات، فهو لا ينحصر في المعنى الطبي، بل تعداه إلى المعجم السياسي/القانوني، وكذا إلى المعجم اللاهوتي، إذ وردت وفق المعنى الأول للدلالة على اللحظة الحاسمة في مرض ما، بحيث يمكن أن نقرر أو نحكم ما إذا كان المريض سوف ينجو أو يموت من علته، أما في السياسة فقد ارتبطت بحالة الطوارئ أو الحالة الاستثنائية في تدبير الشأن العام، وبخصوص البعد اللاهوتي فقد وردت في التوراة والإنجيل كلمة" Krisis" 47مرة، لتعبر عن معاني الفصل والتمييز والفرز، وقرار الحكم والإدانة[12].

من الملاحظ أن دلالة الأزمة سواء في ارتباطها بمجال الطب أو السياسة أو الدين أو حتى في معانيها اللغوية ولدى اليونان، ترتبط أشد ارتباط بالزمن؛ فهي لحظة زمنية حاسمة في حياة المريض قد تنقله إلى الموت كما قد تعيده وتسعفه، وهي توقيت للإعلان عن قرار حاسم تم اختياره للفصل في نزاع أو شجار أو محاكمة، كما تعبر أيضا عن

10- نادية، غضبان محمد، الأوبئة في خطاب الأزمة، مجلة خطابات، ع.4، دجنبر، 2021، ص.150.

11- المرجع نفسه، ص151.

12 – فتحي، المسكيني، حالة الأزمة في العالم المعاصر وإلى أين يتجه العالم والإنسان؟، التفاهم، مج.18، ع.68، 2020، ص.71-72

حالة طوارئ واستثناء مضطربين في تدبير الشأن العام يتم إعلان توقيتها زمنيا، بالإضافة إلى كونها لحظة حسم وإدانة في حياة الشخص بإعلان انتقاله من الحياة الدنيا إلى يوم الدين أو إمكانية التأرجح بين الجانبين.

وقد حافظ المعنى الاقتصادي لمفهوم الأزمة على الدلالة نفسها تحت مسمى "الأزمة الاقتصادية" التي عرفت بأنها: "فترة ركود تتسم بنقص الاستثمارات، وانخفاض الإنتاج، وزيادة البطالة، وهي بذلك تدل على ظروف سيئة متعلقة بالاقتصاد...فأي خلل في هذا الأخير يجري تفسيره باستخدام كلمة "الأزمة"[13]. وقد ارتبط المصطلح في الآونة الأخيرة بالقطاع الاقتصادي، لكن بالإشارة إلى وضع معقد ومتناقض لا يمكن وصفه بأنه تضخم ولا تراجع ولا كساد، بل تتشابك فيه سلسلة من الأسباب والنتائج في مجموعة من القضايا المتعارضة[14]؛ إنه وضع ينبئ باللايقين النابع عن شعور بجهلنا بمصير الأمور، كما يعبر عن رغبة شديدة في التدخل، بمعنى انتقاء الإجراءات الصحيحة واتخاذ قرار بتطبيقها على الفور[15].

يكتسي لفظ "الأزمة" وفق ما أشرنا إليه سلفا طابعا سلبيا؛ فكل ما يعبر عن الاضطراب والتوتر وتعقد الأحوال وتراجعها في كافة مجالات حياة الإنسان يوحي بذلك، ويبعث في روح الفرد والمجتمع حالة عدم الاستقرار واللايقين، فبالرغم من أن الأزمة تستشرف مرحلة انتقالية-إن صح التعبير- من وضع مأزوم ومضطرب ومتوتر إلى حالة من الاستقرار واليقين والثبات إلا أن تداعياتها وتفاصيلها وتأثيراتها جعلتنا نسلط الضوء فقط على بعدها السلبي الذي خلق حالة اللاتوازن في حياة المجتمعات.

في مقابل ذلك، "قد تعبر الأزمة عن شيء إيجابي وخلاق ومبشر، لأنها تشير إلى تغير ما، وربما تكون ميلادا جديدا بعد انفصال أو انهيار...إنها تتيح إعلان قرار أو اختيار ومن ثم تعبير عن رأي...وهي بذلك تعلن عن نضج تجربة جديدة تبشر بالتحول"[16]،كما قد توحي بالدوام والثبات كما وصفها الفيلسوف "جورجيو أغمبن" في مقابلة أجريت معه سنة2013؛ حيث أشار إلى أن الفهم المعاصر لمصطلح "الأزمة" قد حولها إلى "حالة دائمة"؛ حيث توجد حالة من عدم اليقين الذي يمتد إلى مالانهاية، ومن ثم تم الفصل بين لحظة الحكم وبين فكرة الاعتزام على اتخاذ قرار. صار الحديث عن الأزمة بمثابة سياسة اللاقرار أو عدم اليقين الدائمة[17].

"إن العيش في حالة أزمة دائمة لا يبعث على السرور، ولكن يمكن أن ينطوي على أثر إيجابي، لأنه يوقظ الحواس ويجعلها على أهبة الاستعداد، ويهيئنا نفسيا للأسوأ. فلابد أن نتعلم العيش مع الأزمة، كما تعودنا العيش مع مشكلات عويصة فرضها علينا تطور الزمان: التلوث، والضوضاء، والفساد، والخوف...علينا أن نعتاد العيش مع الأزمة لأنها ستدوم"[18].في ضوء ما سبق، وسواء نقلتنا الأزمة من حيث دلالاتها نحو ما هو إيجابي، ونحو تجربة نضج جديدة ومتحولة، أو رمت بنا في اتجاه سلبي يكسوه الاضطراب واختلال في التوازن؛ فإنها أفرزت دلالة توحي

13- زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، ت. حجاج أبو جبر، ط.1، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2018)، ص9-10.

14- المرجع نفسه، ص11.

15- المرجع نفسه، ص15.

16- المرجع نفسه، ص11.

17- فتحي، المسكيني، حالة الأزمة، ص87.

18- زيجمونت باومان وكارلو بوردوني. 2018، حالة الأزمة، ت. حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط.1، بيروت، ص.15

بحالة الدوام والاستمرارية وملازمة حياة الإنسان؛ فيغدو بذلك السؤال، ليس عن كيفية الانتقال أو التحول أو تغيير الوضع نحو الأفضل، وإنما هو سؤال عن كيفية تدبير الأزمة والتعايش معها دون خسارات.

3- التحليل النقدي للخطاب

"التَّحْليلُ النقْدِيُّ للخطاب" أو "تحليلُ الخطابِ النقْدِيُّ" هي ترجمة لتخصص نقدي في تحليل الخطاب هو "Critical Discourse Analysis"، فصفة "نقدي" ترتبط بالمركب الإسمي "تحليل الخطاب، لذا لا يجوز ترجمته بـ"تحليل الخطاب النقديّ"، لأن الصفة ترتبط بنوع من أنواع تحليل الخطاب، وليست وصفا للخطاب"[19]، ويمكن تعريفه بكونه "برنامج بحث متعدد التخصصات ذا توجه مشكلاتي، ويضم مجموعة من المقاربات التي تسعى إلى كشف العلاقات بين استعمال اللغة والبنيات الاجتماعية التي يجري فيها هذا الاستعمال"[20] ويقتضي هذا المنظور العابر للاختصاصات بوصفه ممارسة أكاديمية أن تتوفر فيه أربعة شروط[21]:

- التعامل مع الخطاب؛ أي اللغة والعلامات الأخرى في الاستعمال الفعلي، أي في سياقات إنتاجها وتداولها، واستهلاكاتها الفعلية المحددة زمانيا ومكانيا؛
- اتخاذ موقف نقدي يسائل العلاقة بين الخطاب و السلطة؛
- البرهنة على دعاواها من خلال تحليلات دقيقة لظواهر لغوية وتداولية وبلاغية، وأدائية في الخطاب؛
- دراسة العلاقة بين الخطاب من ناحية، والممارسات الخطابية والممارسات الاجتماعية التي تحيط بإنتاجه، وتشكله وتوزيعه، واستهلاكه.

شهد هذا الحقل تناميا متدرجا عبر مراحل؛ كانت أولها بداية الثمانينيات، وبالضبط سنة2008، التي شكلت نقطة انطلاق فعلية، مستهلها تأسيس جمعية المحللين الناقدين للخطاب في العالم العربي والتي كان جل المشاركين فيها يكتبون بالإنجليزية ويدرسون في جامعات غربية، ثم تلاها مناقشة أول أطروحة دكتوراه باللغة العربية تستعمل "التحليل النقدي للخطاب" بوصفه منهجية بحثية (وفقا للباحث جمعان عبد الكريم.2016)، وهي بعنوان "البلاغة السياسية: دراسة في مختارات من خطب السادات" للباحث عماد عبد اللطيف، ثم بعدها مباشرة ظهرت أول ترجمة عربية لكتاب في هذا المجال، من قبل "طلال وهبه" وهو الكتاب الموسوم بـ"تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي" لصاحبه "نورمان فيركليف"، الذي ترجمت أيضا بعد ذلك أربعة من كتبه إلى العربية بالإضافة للكتاب السابق، وهي: "الخطاب والتغير الاجتماعي"، و"اللغة والسلطة"، ثم كتابه المشترك مع إيزابيلا فيركليف، المعنون بـ"تحليل الخطاب السياسي: مقاربة لطلاب الدراسات المتقدمة والعليا".

أما فيما يرتبط بالدراسات العربية التي عرفت بحقل التحليل النقدي للخطاب، فقد كانت دراسة محمد شومان، المتخصص في الدراسات الإعلامية، باكورة هذه الأعمال، وقد نشرت سنة2007، ثم تلته بعد ذلك مجموعة من الأعمال ذات خلفيات مختلفة ومتعددة؛ فمن خلفية البلاغة واللسانيات تم تقديم التحليل النقدي للخطاب

19- سعيد، بكار.2021، التحليل النقدي للخطاب مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، مج.16، ع.2، ص.444.

20- نفسه، ص.450.

21- محمد، يطاوي، التحليل النقدي للخطاب ،2019، ص.10.

بوصفه مقاربة مقاومة للخطابات السلطوية، وذلك في دراسة نشرت عام2009، ثم تلاها كتاب بعنوان: "من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي: تبسيط التداولية" وهو لصاحبه "بهاء الدين مزيد"، لتتدفق بعد ذلك مجموعة من الدراسات والأعمال التي عرفت بهذه المقاربة، كـ"الزليطني"2014، والشمري والمحمود2015، وعبيدي2016، وغيرهم[22]...

تأسس التحليل النقدي للخطاب على ثلاث مقاربات أساسية:

-المقاربة الجدلية العلائقية: تبنى هذه المقاربة نورمان فيركليف، وقد انطلق فيها من ثلاثة مفاهيم، وهي: النقد والتفسير والفعل السياسي؛ حيث اعتبر الأول هو الجسر الرابط بين التاليين، فالأول يقوم على تفسير العلاقات السببية والجدلية بين الخطاب والعناصر الأخرى المشكلة للحياة الاجتماعية، وهو ما يسمح في نظره بتوضيح ما يحتاج إلى التغيير وكيفية القيام بذلك، وقد امتدت هذه المقاربة ثلاثين سنة مقسمة إلى ثلاث مراحل بارزة ومفصلية، يمثل المرحلة الأولى كتاب "اللغة والسلطة" الصادر سنة1989، والذي اختص بدراسة الروابط بين استعمال اللغة وعلاقات اللامساواة في السلطة، ونقد الخطاب الإديولوجي بوصفه خطابا يعيد إنتاج النظام الاجتماعي الموجود، بينما تم التركيز في المرحلة الثانية عبر كتاب "الخطاب والتغير الاجتماعي(1992)" على تجسير العلاقة بين البعد اللغوي والبعدين الاجتماعي والاقتصادي، وذلك عبر تطوير مفاهيم إجرائية كنظام الخطاب والتناص...وغيرها، لتأتي بعد ذلك مرحلة ثالثة جسدها كتاب مزدوج التأليف بين نورمان فيركليف وزوجته إيزابيلا فيركليف بعنوان "تحليل الخطاب السياسي منهج لطلبة الدراسات العليا2012"، والذي ارتبط بمرحلة الأزمة المالية والاقتصادية(2007) التي أصابت بريطانيا والعالم بأسره؛ حيث تم التركيز فيها على نقد الخطب الاستشارية التي ألقيت لتجاوز الأزمة[23].

تقوم دراسة الخطاب وفق هذه المقاربة على ثلاثة أبعاد حسب نورمان فيركليف، وهي: بعد الممارسة الخطابية وبعد تحليل النص، ثم بعد الممارسة الاجتماعية، يعنى الأول بدراسة إنتاج النص واستهلاكه حيث تدرس في مرحلة الإنتاج ظاهرتان خطابيتان وهما: التناص والبيخطابية، بينما تختص المرحلة الثانية بدراسة ظاهرة الانسجام والتضمينات التأويلية، أي تأثيرات الظواهر الخطابية في الجمهور. أما البعد الثاني في هذه المقاربة فيهتم بتحليل النص ووصف أنظمة الخطاب المحددة في الممارسة الخطابية، ويتبع هذا الوصف مقاربة تبدأ بالبعد الفكري (نحو التعدية، نحو التصنيف، الاستعارة، إخفاء الفاعلية...)، وتنتقل إلى البعد البيشخصي(التحكم في التفاعل، أفعال الكلام، استخدام الضمائر...)، ثم تنتهي بالبعد النصي (دراسة علاقات الانسجام والاتساق وكل ما من شأنه أن يحقق وحدة للخطاب لغويا كان أو معرفيا. وختام هذه الأبعاد يدرس أثر نظام الخطاب في المجتمع، فيجيب عن سؤال مفاده: هل يغير نظام الخطاب الوضع القائم في المجتمع أم يحافظ عليه أم أنه يعمل على تطويره وتنويره؟ فيدرس ضمن هذا البعد الآثار الإيديولوجية والسياسية للخطاب في المجتمع[24].

- عماد، عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة المقاومة السلطة، ط.1 (الأردن، دار كنوز المعرفة، 2020)، ص73-22.75

- سعيد، بكار، التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، مج.16، ع.2، 2021، ص453-23.454

- المرجع نفسه، ص24.457

-المقاربة المعرفية الاجتماعية: نظر لهذه المقاربة "فان دايك Van Dijk Teun"، الذي اهتم بالمشكلات الاجتماعية على اعتبار أن دراستها قد تحدث تغييرا في البنيات الاجتماعية، وخاصة بعد زيارته للمكسيك وكشفه معاناة سكانه، فعاد محملا بتصور مختلف عن الدراسات الوصفية التي كان يقوم بها في السابق، والتي اعتبرها لا تغير شيئا ولا تقدم إضافة للمجتمع، فقرر أن يكون مثقفا عضويا؛ فدرس المشكلات الاجتماعية في المجتمع الهولندي، وخاصة العنصرية واللامساواة داخل المجتمع. وقد زاوج في تصوره بين ماهو معرفي ذهني وماهو اجتماعي أي تأثير كل ما هو في الذهن على ما ينتج من خطابات، وذلك وفق ثلاثة أبعاد: بعد الخطاب، والبعد الذهني، ثم البعد الاجتماعي، وقد كانت دراساته مركزة بالنظر إلى الخلفيات المعرفية المتعددة التي انطلق منها وأسس عليها تصوره.

-المقاربة التاريخية للخطاب مع "روث فوداكWodak Ruth ومارتن رايزجلMartin Reisigl": امتدت مرحلتها الأولى التأسيسية من عام1987 إلى 1993، وتميزت بسمات أساسية وهي البيتخصصية والتثليث أي بإدماج مجموعة من التخصصات في دراسة الخطاب بوصف الخطاب بناء مركب، لذلك فهو يحتاج إلى هذه الخاصية، فضلا عن خاصية التثليث التي تقوم على تجنب الانحياز و المزج بين مناهج متعددة تجمع بين الكمي والكيفي، والبحث الإثنوغرافي والتنويع في البيانات المعتمدة من مصادر مختلفة، بينما مثلت المرحلة الثانية (1993-1997) الانطلاقة الفعلية للمقاربة من خلال إصدار كتاب لقي صدى كبيرا في الحقل الأكاديمي وهو"البناء الخطابي للهوية الوطنية"؛ حيث تم من خلاله بلورة منهجية لأجرأة المقاربة التاريخية، والتي تقوم على جمع البيانات وتحديدها، ثم دراسة الاستراتيجيات الخطابية المستخدمة في تلك المواضيع، لنصل إلى دراسة التحققات اللغوية لهذه الاستراتيجيات (المعجم، التركيب، الاستعارة...) [25].

استنادا إلى ماسبق عرضه من تصورات لمقاربات مختلفة تنتمي لمنظور التحليل النقدي للخطاب، يبدو أن الخاصية المشتركة بينها والتي تجعل هذا المنظور منفردا ومتميزا عن غيره؛ هي "البيتخصصية"؛ فأساسه مشكل من خلفيات نظرية مختلفة تتأرجح بين اللسانيات بمختلف مشاربها واتجاهاتها، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والتاريخ...وغيرها، بالإضافة إلى السمة الإجرائية التدخلية، فهو يهتم بالمشكلات الاجتماعية من خلال الكشف عنها وتحليلها، ثم تفسيرها و معالجتها لبيان البدائل المقترحة لتجاوزها، وهذا ما أضاف سمة أخرى لهذه المقاربة العابرة للتخصصات، وهي القابلية للأجرأة في مواضيع وخطابات في سياقات مختلفة: اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية...

ثانيا: خطاب أزمة كورونا: تصور نظري للمقاربة والدراسة

1-أزمة كورونا: السياق والمظاهر

أثار انتشار فيروس كورونا هلعا كبيرا في جميع أنحاء العالم بين نهاية سنة2019 وبداية سنة 2020، وذلك لسرعة تفشيه وانتقاله في وقت وجيز بين أفراد المجتمعات؛ وكذا لصعوبة الكشف عن خصائصه ووسائل انتقاله

25- سعيد، بكار، التحليل النقدي للخطاب (دراسة في المفهوم والمقاربات) "، محاضرة في قناة بيت اللسانيات، 2023، تم الاطلاع بتاريخ: 06يونيو 2023 https://www.youtube.com/watch?v=F3V7oE-VMUk&t=24s

وحيثيات أعراضه التي كانت تختلف من شخص لآخر، مما أكسب هذا الفيروس خاصية المفاجأة والإرباك والفوضى سواء من خلال ما يحدث لدى الشخص المصاب، أو ما يخلفه من تأثير على كل من يخالطه؛ وقد خلف هذا الوضع استياء عاما سواء في المشهد الإعلامي، أو السياسي أو الاجتماعي، وعلى جميع المستويات في كل دول العالم، بدءا من رؤساء الدول ووزرائها ومسؤوليها، مرورا بالعلماء والخبراء في مجال الأوبئة، ووصولا إلى أطر مجال الصحة، ثم إلى كافة المواطنين.

ظهر هذا الفيروس لأول مرة في الصين في مدينة "ووهان" بمسمى الوباء، لكن خاصية انتشاره السريعة جعلت منظمة الصحة العالمية تنقله إلى اسم "جائحة" وذلك بتاريخ 11مارس2020، عبر تصريح أمينها العام، مؤكدا أن السبب هو ارتفاع حالات العدوى، والانتشار السريع للفيروس خارج الصين إلى مناطق جغرافية أخرى، وبالتالي ارتفاع نسبة الدول المتضررة من عدوى كوفيد19 في وقت وجيز. ومن الملاحظ عبر تصفح موقع منظمة الصحة العالمية أنها نعتت هذا الفيروس تارة بـ"فيروس كورونا" وتارة أخرى بـ"فيروس19-covid"؛ "فنجد أن العلاقة بينهما هي علاقة عموم وخصوص؛ إذ إن كورونا مصطلح عام يطلق على مجموعة من الأمراض الفيروسية، أما "كوفيد19" فهو مصطلح خاص بهذا المرض المنتشر حاليا، ذلك أن كورونا (فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب اعتلالات تتنوع بين الزكام وأمراض أكثر وخامة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (Mers-cov)، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (Sars-covid). ويمثل فيروس كورونا المستجد سلالة جديدة لم يسبق تحديدها لدى البشر من قبل" [26]؛ وذلك ما يفسر حضور المصطلحين معا في معظم الخطابات المتعلقة بهذه الأزمة الصحية العامة.

أفرز انتشار هذا الفيروس خطابات متنوعة ومتعددة في معظم دول العالم، يشملها ويضمها سياق عام هو سياق "الأزمة"؛ بما فيها الخطابات السياسية الرسمية الصادرة عن رؤساء الدول ووزراء الصحة، ومختلف الفاعلين في المؤسسات الرسمية، وكذا الخطابات السياسية في مجالات التربية والتعليم، والاقتصاد، والسياسة...وغيرها من الخطابات التي صدرت عن كافة المسؤولين في مختلف القطاعات، والذين يهمهم شأن تدبير هذه الأزمة والتخفيف من تداعياتها والتواصل مع عموم المواطنين حول كيفية التفاعل معها وسط سياق ووسط جديد ومأزوم.

فضلا عن ذلك، واكبت أزمة كوفيد-19مجموعة من الخطابات الإعلامية بمختلف أشكالها، والتي تمثلت وظيفتها في الإخبار والتوجيه والتحسيس بمخاطر انتشار الفيروس، وتوعية المواطنين بأهمية الالتزام بالتدابير الاحترازية والمساهمة في التخفيف من تفشيه وانتقاله بين عامة الناس، كان مستهلها الخطابات التي عززت القرارات السيادية وقامت بتبليغها للرأي العام كالإعلان عن تعليق الرحلات الجوية من أو إلى الدول التي ظهرت فيها حالات انتشار الفيروس، ثم تلتها خطابات أخرى ترتبط بتحديد عدد حالات المصابين أو الوفيات، ليرتقي بعد ذلك التواصل إلى مرحلة حرجة وسمت بـ"الحجر الصحي" وإعلان حالة الطوارئ الصحية في مختلف بقاع العالم، فتم على إثرها توقيف الدروس الحضورية في مجال التعليم وتعويضها بدروس عن بعد، وعلى منوال ذلك في مختلف الإدارات

26 – حميد، الزيتوني وآخرون ، خطاب الجائحة رؤى ومقاربات ، ط.1، (مراكش، مؤسسة آفاق للدراسات و النشر والاتصال، 2020)، ص221.

العمومية والخاصة، بل وقد شمل ذلك كافة القطاعات، وألزم المواطنون منازلهم حفاظا على الصحة العامة وتفاديا لازدياد تفشي الفيروس وانتقال العدوى.

"وقد أثار الحجر الصحي الذي فرضته جائحة كورونا على المغاربة (وغيرهم من المواطنين في مختلف أنحاء العالم)، نشاطا خطابيا استثنائيا كمّا ودرجة ونوعا، في الوقت الذي تنوعت فيه أنساقه(لساني/سيميائي) وتعددت أنماطه (نكتة، تعليقات، شعر، أغاني، اقتباسات، شرائط فيديو، كاريكاتير...)، توحد سجله الدلالي في تيمة السخرية التي شكلت آلية جوهرية في توليد النصوص الرقمية وتأويل الخطاب، وحافزا ملهما للتساؤل حول دوافعها النفسية وأدوارها الوظيفية في لحظات الأزمة، إذ المشاعر مضطربة والمواقف مرتبكة"[27]، وقد شكلت هذه التفاعلات استجابات مقاومة للخطابات الرسمية من قبل الجمهور أو عامة الناس، ونخص هنا بالتحديد الفترة الأولى التي تم فيها تلقي خبر تفشي الفيروس وانتشاره؛ حيث شكلت لحظة دهشة وإرباك وحيرة، جعلت البعض ينكر وجوده وحقيقته، والبعض الآخر أقر بتصنيعه ووصف المسألة بالمؤامرة السياسية التي تريد تدميرنا نحن الضعفاء مقابل استبداد القوى العظمى(الصين وأمريكا)، كما ذهب البعض إلى أن القضية ترتبط بغضب إلهي وبقدر حتمي سيقضي على الإنسانية جمعاء.

وبالموازاة مع خطابات الحس المشترك التي تم إنتاجها تفاعلا مع الوضع الأول لأزمة كوفيد19، شهدت الساحة العمومية نقاشا حادا بين الفتاوى الدينية حول المسألة، وبخاصة، بعد إغلاق المساجد وتعليق الصلوات؛ حيث تحولت هذه الإجراءات "التي سنتها الدولة للحد من السرعة الكبيرة لانتشار الوباء وحماية أكبر عدد من مواطنيها، وما استتبعه من تأويلات كثيرة تدخل في باب ما يسمى عادة في الأنتربولوجيا والسوسيولوجيا بالنزولوجيا الاجتماعية، القائمة على أن أسباب الوباء والمرض لا توجد أبدا في النظام الطبيعي للعالم وإنما تكمن في البنيات والأفعال والأنساق الاجتماعية التي تحتضنها؛ فالوباء لا يعدو أن يكون مظهرا عاديا لتمادي الأفراد والجماعات في عدم احترام القواعد الثيولوجية للعالم، واستمرارهم في خرق قداسة العالم وقوانينه الروحية؛ فالوباء إما عقاب أو امتحان دوري، تجريب لإيمان الناس وصدق اعتقادهم، يتخذ تسمية البلاء أو الابتلاء"[28].

وبناء عليه، فقد تميز الحقل النقدي حول الفيروس بكونه حقل تأويل استحثه الوباء بوصفه موضوعا للتأويل ومجالا لصراع التأويلات على حد تعبير بول ريكور، فبين تأويل علمي ينتجه البيولوجيون وعلماء الجينوم والصيدلة والأطباء والباحثون في علوم الإنسان، وتأويل سياسي ينتجه السياسيون انطلاقا من مواقعهم في حقل السلطة، تأويل المهيمنين وأصحاب القرار السياسي، وتأويل الهيئات والمنظمات والجماعات المعارضة، وتأويلات غير منسجمة للحس المشترك مادامت المعرفة الاجتماعية التي تظهر في المجال الاجتماعي تتأثر بالضرورة بمجموع الشروط التي تنتج الاجتماعي وتحدد المواقع[29]. وبذلك فكل القراءات التي واكبت مستهل الأزمة وإرهاصاتها شكلت خطابا يعج بالصراعات؛ وهي في معظمها صراعات حول الهيمنة والتأثير؛ فكما سعت الخطابات الرسمية التي

27- هشام، فتح وآخرون، خطاب الجائحة رؤى ومقاربات، ط.1 (مراكش، مؤسسة آفاق للدراسات و النشر والاتصال،2020)، ص253-254.

28- زكرياء، الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص136.

29 - المرجع نفسه، ص131.

عملت على تدبير الأزمة والتواصل مع المواطنين، إلى فرض إيطوس السلطة الحازمة والحريصة على سلامة كافة المواطنين رافعة شعار انتصار المصلحة العامة، فكذلك حضرت الخطابات المقاومة/المستجيبة التي جسدها عامة الناس، والخطابات الدينية المعارضة، فضلا عن خطابات بعض العلماء عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وخطابات الإشاعة؛ وكلها جسدت صراعا حول الشرعية.

2-التحليل النقدي لخطاب أزمة كوفيد-19: تصورنظري

من المهم أن نؤكد في البداية إلى أن غايتنا في هذا المحور ليست تطبيقا إجرائيا لمقاربات التحليل النقدي للخطاب على خطاب أزمة كوفيد19، وإنما تقديم تصور نظري حول كيف يمكن للإطار التحليلي لهذه المقاربة أن يكون أرضية لقراءة الخطابات التي أفرزتها الإرهاصات الأولى لأزمة كورونا، وذلك عبر مساءلة العناصر الأساسية المشكلة له؛ بدءا باللغة، ثم السلطة، فضلا عن دراسة العلاقات الرابطة بينها؛ وذلك لأن مختلف مقاربات هذا المنظور النقدي نظريا أو إجرائيا، أولت اهتماما بارزا للعلاقات التأثيرية التأثرية بين هذه العناصر بالرغم من اختلاف مقامات الدراسة من مقاربة إلى أخرى.

ذكرنا سلفا في محور سابق، أن التحليل النقدي للخطاب هو مقاربة لتحليل الخطاب كيفما كان نمطه، والأساس فيه أن يعبر عن مشكلة اجتماعية، بوصف الخطاب شكل من أشكال الممارسة والفعل الاجتماعيين، وأزمة كوفيد19 وفق كل الخطابات التي تفاعلت مع سياقها تطرح مشكلة اجتماعية تحتاج إلى الدراسة والتحليل، وعيا منا بضرورة إيلاء أهمية لهذا النمط من الخطابات، فانتقال المصطلح (أزمة) في بداياته من المجال الطبي واستخدامه لوصف لحظة حرجة في مسار مرض الإنسان، والتي ستحدد ما إذا كان سيعيش أم يموت، إلى مجالات أخرى في الحياة الاجتماعية والسياسية، متحولا من الجسد البشري إلى الجسد السياسي...وفي هذه السياقات الجديدة تظل القرارات بشأن إدارة الأزمة تحتفظ بهذه السمة التي تحدد بين الحياة والموت[30]؛ وذلك ما يضاعف من أهمية دراسة هذا الخطاب فهو يرتبط في مجموعة من الأبعاد بحياة الإنسان ومآلاته، كما يزكي مسألة التفكير في استراتيجيات جديدة ومحينة للتعامل مع الأزمات بشكل عام، لأن تأثير الخطابات ملحوظ وتأثرها أيضا بارز، وهي الفكرة التي أكدها الأستاذ ادريس لكريني في ندوة رقمية حول "خطاب الوباء" عندما أشار إلى أهمية ترسيخ ثقافة إدارة الأزمات لدى صانعي القرار والتفكير بجدية في ذلك، لأن المخاطر التي قد تنجم عن التدبير غير الجيد قد تسبب خسائر أكثر مما قد تسببه تداعيات الأزمة نفسها، كما أن الخطابات التي تواكب الخطابات السياسية المدبرة للأزمة والتي تروج عبر مواقع التواصل الاجتماعي قد تحول دون التحكم في الأزمة[31].

وقد تساهم أحيانا الفوضى الرقمية المثارة حول إعلان قرار ما، أو تدبير من التدابير الاحترازية في إنتاج خطاب مأزوم تغيب فيه سياسة محددة اتجاه الفعل ، يمكن أن تحدد علاجا، أو أفقا زمنيا معلوما لانتهاء الأزمة،

30- Maha Abdelrahman. Covid-19 and the meaning of crisis, Development and change, Published on behalf of the social studies, The Hague, 2022), p.1156.

31 – ادريس، لكريني. ، ندوة علمية رقمية بعنوان: خطاب الوباء، من تنظيم جمعية البلاغيين المغاربة بتنسيق مع جريدة العمق، 2020، تم الاطلاع بتاريخ: 10يونيو2020 https://www.youtube.com/watch?v=6phndL2nVQs

فتجد البشرية نفسها تختبر معنى النهاية، ويدفع بسؤال المصير القدري إلى الواجهة، وهو ما يؤدي إلى عدم تماسك خطاب الأزمة وانجراره للوقوع في "أزمة خطاب"، وهو ما عبر عنه الخطاب العلمي المتداول الذي ركز على خطابي الوقاية والمناعة ولم ينتج خطابا علاجيا واضحا، كما أن منظمة الصحة العالمية في بدايات انتشار الفيروس أقرت بأن ارتداء الكمامة سيكون من واجب العاملين فقط في قطاع الصحة، أما عموم المواطنين فسيعتمدون التباعد الاجتماعي والنظافة، لتنهال بعد ذلك مواقع التواصل الاجتماعي بمنشورات أطباء ينادون بضرورة وضع الكمامات، ولتغير بعد ذلك المنظمة موقفها وتدعم رأي الأطباء[32].

أ-اللغة في خطاب الأزمة

"إن ما تقوله اللغة شيء وما تعنيه شيء وما تفعله شيء آخر"[33]؛ يوحي هذا القول بأهمية اللغة وأدواتها التعبيرية المختلفة التي توظف في بناء الخطاب، وبوظيفية الدلالات والمعاني التي تفرزها وتنتجها لتحدث أثرا وقوة تتحقق بالفعل، فاللغة تجاوزت قالبها الثابت الذي يرتبط بالقواعد والتركيبات إلى مستويين؛ يتعلق الأول بالمعاني التي يمكن أن تحدثها هذه التركيبات اللغوية لدى متلقي الخطاب، ويعبر الثاني عن فاعلية اللغة وتأثيراتها في الحياة الاجتماعية بل وقدرتها الفائقة على تشكيلها، وقد أقر بذلك "نورمان فيركليفFairclough Norman(2009)" حين اعتبر اللغة في دراسته للخطاب جزءا من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزاله، وأن بينه وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى علاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة دائما بعين الاعتبار[34]؛ ومن هنا تتبدى أهمية اللغة في بناء النص بقواعده وأدواته التعبيرية وكذا في قدرتها على تشكيل الخطاب ومنحه حياة وديناميةـ بل وسلطة وهيمنة وقوة قادرة على إحداث تغيرات اجتماعية، ذلك أن النصوص بمختلف أشكالها وأصنافها، تشترك لا محالة في تكوين الأحداث الاجتماعية، نتائج تسببها، أي أنها تحدث تغييرا، فهي على صعيد مباشر يمكن أن تحدث تغييرات في المعرفة التي نملكها (يمكن أن نتعلم منها)، وفي معتقداتنا ومواقفنا، وقيمنا...وما إلى ذلك. كذلك قد تحدث نتائج على المدى الطويل[35].

إن علاقة اللغة بإحداث التغيير الاجتماعي علاقة منطقية جدلية تجعل منها سلطة لا تقاوم؛ فهي لا تكتفي بالحضور والتأثير المباشرين وإنما قد تتعدى ذلك إلى التأثير على المدى الطويل؛ كل ذلك يكسبها مكانة وقيمة عاليتين ويجعلها خير وسيلة لبناء مختلف الخطابات، وخاصة السياسية منها، حيث تكون اللغة سلطة في ذاتها والسياسة هي السلطة بذاتها ولذاتها، وكثيرا ما توظف دون وعي بسلطتها و بخطرها...وبعضهم يمارس اللغة وهو واع بقوتها إذ تشد أزر سلطته، وبعضهم لا يعي أن وزن سلطانه بوزن سلطة لغته...فالسياسة هي السلطة الحاضرة واللغة هي السلطة الغائبة[36] وبذلك تكون اللغة قد شكلت أداة السياسيين لفرض السلطة وإقامتها،

---

32 – نادية، غضبان محمد ، الأوبئة في خطاب الأزمة، مجلة خطابات، ع.4، دجنبر، 2021، ص150.

33 – عماد، عبد اللطيف، كيف نحلل خطابا عربيا؟ محاضرة علمية عن بعد، منصة Google Meet، جامعة البصرة، كلية التربية/القرنة، 2021 تم الاطلاع بتاريخ: 22-08-2023 https://www.youtube.com/watch?v=cm3W4GhRKj0

34 – نورمان، فيركليف، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ت.طلال وهبه، ط.1، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009)، ص19.

– المرجع نفسه، ص.33.35

36 – عبد السلام، المسدي، اللغة والسياسة، مجلة ثقافات، ع.21، 01يناير2008، ص170

وتحقيق أهدافهم ورغباتهم، بل أحيانا قد يكون امتلاك السياسي للغة بفصاحتها وآلياتها التعبيرية المختلفة أشد وقعا من مكانته وتجربته السياسية.

وفق ما سبق، يبدو أن الأمر يرتبط بالتواصل في أوضح تجلياته، باللغة وعبرها، فهي وحدها القادرة على تحقيق ديناميته وفاعليته في مختلف المقامات؛ وذلك ما شهدناه في الفترة الزمنية الأولى لتفشي فيروس كوفيد19، حيث فرضت مسألة التواصل نفسها، وحضرت اللغة بمختلف أنماطها في خطابات متنوعة، أبرزها السياسي، بوصفه الخطاب المركزي الذي تم عبره تمرير عدة قرارات وتدابير، وباعتباره الخطاب المسؤول عن تدبير الأزمة بمختلف تجلياتها وتداعياتها، إنه الخطاب الرسمي والمعيار، والممتلك لسلطة القرار وصانعها (خطاب الملوك أو الرؤساء، وخطاب وزارة الداخلية، وقطاع التربية والتعليم، ووزارة الصحة...وغيرها)، ولذلك اكتسبت اللغة في هذا النمط من الخطاب طابعا رسميا مؤسساتيا، فهي صادرة عن مراكز القرار التي تمتلك مصداقية ومشروعية، وبالتالي ستكون شفافة تعبر عن حس المسؤولية اتجاه الأزمة. بينما نجدها في نمط آخر من الخطابات الذي عبر عن الأزمة وهو الخطاب الإعلامي أقل حدة وأكثر تعبيرا ووظيفية، حيث شكلت في هذا المقام تلك اللغة الوسيطة التي تمد جسر التواصل بين الرسمي و عامة الناس، والتي تفك شفرات اللغة التابعة للمؤسسات الرسمية للدولة، فعلى سبيل المثال، قدم الإعلامي "صلاح الدين الغماري" في القناة التلفازية المغربية الثانية برنامجا بعنوان "أسئلة كورونا" كان يواكب من خلاله الخطابات الرسمية المرتبطة بأزمة كورونا، ويحاول تبسيطها وتفسيرها، وقد استعمل في ذلك العربية المغربية (الدارجة) موجها كلمته إلى عموم المواطنين بلغة الحس المشترك لإحداث تغيرات اجتماعية تستجيب للتدابير الاحترازية الموصى بها في الخطابات الرسمية، فهل أخفقت هذه الأخيرة في بناء لغتها وخطابها وفي تحقيق التواصل وتدبير الأزمة؟ أم أن حدة السياق المأزوم يتطلب خطابا آخر داعما ومساندا ومعززا لما ورد في الرسمي؟

في السياق نفسه، حضرت سلطة اللغة بقوة في خطابات عامة المواطنين، ومعظمها في قالب ساخر، وهي عبارة عن ردود أفعال واستجابات متفاعلة مع الخطابات الأخرى سواء ما تعلق منها بالتعليم والتربية (الخطاب الصادر حول تعليق الدراسة الحضورية واعتماد التعليم عن بعد)، أو بالسلامة الصحية العامة، أو حتى بأوضاع اجتماعية معينة (الزواج مثلا في سياق الحجر الصحي)، وقد كانت هذه الخطابات رقمية تتوزع بين الصور الثابتة والمتحركة والتعليقات والصور الكاريكاتيرية...وغيرها[37]، وهي خطابات تنم عن رغبة الإنسان في سياق الأزمة بشتى أشكال اللغة التي يملكها والتي استخدمها ليؤدي دورا بطوليا يفرض من خلاله هو الآخر سلطته التي ربما طمست في سياقات أخرى (خضوعه للحجر الصحي). فلغة الخطاب، إذن، تتحول بمفرداتها وقوالبها وخصائصها الشكلية إلى مرآة تعكس قيما وخبرات معينة أو إلى إطار يعكس تصورات معينة عن العالم[38]؛ وهذا ماتحقق بالفعل في

37- من أمثلة الخطابات الساخرة ما ورد في المؤلف الجماعي بعنوان: تحليل خطاب السخرية في زمن كورونا، تنسيق ربيع أوطال، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، 2021.

38 - محمد لطفي، الزليطني،.2014، "من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، مجلة الخطاب"، ع.17، يناير، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص.14

سياق الأزمة، فالإنسان من مختلف مواقعه أودع في خطاباته عبر اللغة أفكاره وتصوراته وتمثلاته لأزمة كوفيد19 وتداعياتها.

يجدر بنا الإشارة إلى أن نماذج الخطابات التي قدمناها كأمثلة في الفقرات السابقة، لم نوردها على سبيل الحصر، وإنما هي فقط جزء من جملة الخطابات التي شكلت وبنت خطاب أزمة كورونا عبر آلية اللغة، والتي ظهرت فيها هذه الأخيرة بأقنعة مختلفة تتنوع بتنوع السياقات، وتتعدد أنماطها بالنظر لمستخدميها من منتجي الخطابات، لكنها تتجه نحو منحى واحد وهو منحى السلطوية والهيمنة وممارسة التأثير وإحداث التغيير في الحياة الاجتماعية. وبما أن الحياة الاجتماعية ومشكلاتها وتحولاتها من اهتمامات منظور التحليل النقدي للخطاب، فإن دراسة اللغة التي شكلت خطاب الأزمة وفق هذا المنظور يقتضي وعيا شاملا بالسياقات المتعددة والمقامات المختلفة التي وردت فيها هذه الخطابات، كما يتطلب تحليلا لبنيات النصوص/الخطابات التي تم إنتاجها خلال هذه الفترة (إرهاصات أزمة كورونا)، فضلا عن الكشف عن وظائف هذه الخطابات وتأثيراتها الإيجابية أو السلبية في المجتمع؛ إن المسألة ترتبط، إذن، بالإجابة عن أسئلة جوهرية حول هذه الخطابات: من؟ وماذا؟ وأين ومتى؟ وكيف؟

يشتغل المحلل الناقد للخطاب على بنية اللغة في خطابات أزمة كوفيد-19من حيث عدة جوانب، أبرزها الجانب المعجمي؛ حيث يكشف من خلاله عن المفردات المستخدمة في الخطاب ودلالاتها وإيحاءاتها، فينظر إليها مثلا من ناحية دلالاتها الإيجابية أو السلبية، وكذا حقلها الدلالي الذي تنتمي إليه، "كما قد تكون المصطلحات المستخدمة متعاطفة أو عدائية، أو متحيزة وموضوعية، وقد يتضمن الخطاب عبارات تلطيفية تعريضية الهدف منها ترويض المسائل والتخفيف من توحشها[39]؛ ففي لغة السياسة مثلا تستخدم مصطلحات من قبيل "التطهير العرقي" بدلا عن "الإبادة الجماعية"، وتحرير بلد ما عوض احتلاله وهدمه...وما إلى ذلك من التسميات التي لا تلائم حقيقة ما يجري في الواقع من تشريد وتدمير وتقتيل...[40]، والأمر نفسه يمكن إسقاطه على تجربة أزمة كورونا ففي بعض الخطابات السياسية التي أنتجها مختلف المسؤولين عن تدبير الأزمة، اعتمدوا استراتيجية التلطيف اللغوي بدلا عن التهويل والإخافة، أطرتها استراتيجية الموجب الأسمى بتعبير باتريك شارودو؛ أي مراعاة المصلحة العامة وتعزيز الحس التضامني، ومن أمثلة ذلك: التعبئة الجماعية، الظرفية الاستثنائية، التدابير الاحترازية، تدبير استثنائي، تعليق الدراسة، تدابير وقائية...وهي مفردات تعتمد الطمأنة وضمان شروط الحياة بالرغم من انتشار الوباء.

كما قد يقوم الخطاب على مفردات هي في الواقع مجازات تعكس إدراك المنشئ للوقائع والأشياء التي هو بصدد الحديث عنها، وتنقل تلك المفردات من مجال الاستعمال إلى مجال آخر مغاير، وليست تلك المجازات أدوات زخرفة وزينة نتحف بها الخطاب، بل هي أدوات تعكس تصورات معينة عن الواقع، ووسائل نمثل عن طريقها

39 - المرجع نفسه، ص15.

40 - المرجع نفسه، ص12.

جوانب من تجربتنا من خلال علاقتها بأخرى، ذلك لأن نسقنا التصوري استعاري بطبيعته[41]، ومن أمثلة ماورد في خطاب أزمة كورونا من استعارات، نجد استعارة "الحرب" التي وردت في كلمة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية "دونالد ترامب" واصفا نفسه بأنه رئيس في حالة حرب، بالإضافة إلى رئيس الوزراء البريطاني "جونسون" الذي أعلن عن مجلس حرب، حيث عبرت الكلمة عن الطابع العسكري الذي تتسم به الأزمة والذي يتطلب مواجهة ومقاومة شبه عسكرية[42]، وقد تم توظيف هذه الاستعارة في مجموعة من الخطابات بالرغم من الاختلاف الذي أحدثته من حيث إحالتها على دلالة الترهيب، أو اعتبارها ضرورة فرضها سياق الوباء. بالإضافة إلى ذلك حضرت استعارات أخرى، "كاستعارة القطار الفائق السرعة والعاصفة الهوجاء والنار...وغيرها من الاستعارات التي أفرزها الخوف من المرض ومقاومته بالدعوة إلى تغيير السلوكات المعتادة أو اتخاذ موقف وحث الجميع على الفعل والاستجابة عبر اللغة المجازية[43].

ومن الجوانب التي تعد أساسية في دراسة بنية الخطاب هو الجانب التركيبي، فقد يبرز الخطاب من حيث بنيته التركيبية أو يبطن خلفيات إيديولوجية معينة، فيكون بالتالي مشحونا بتصورات ومواقف؛ ويأتي ذلك نتيجة لاختيار أنماط تركيبية معينة، بهدف الإقناع أو التضليل مثلا، أو تقديم صورة بعينها عن واقع الأمور، وقد يأتي الخطاب في تركيبه موافقا لما يقتضيه واقع الأشياء، ومنطق الأحداث، فيكون بالتالي طبيعيا آليا[44]، ومن أمثلة ذلك توظيف البناء للمفعول الذي يجعل الفاعل مجهولا وغير مصرح به، فيركز المتلقي على المفعول عوض الفاعل، ويكتسي هذا الأخير طابعا سلطويا فهو العالم بشيء مجهول لدى المتلقي، بالإضافة إلى توظيف المصادر بدل الأفعال، وكلا البنيتان تساهمان في تعتيم الأدوار الفاعلة وإخفاء الأطراف المشاركة في الأحداث[45]؛ وبالاطلاع على خطاب الأزمة (الخطاب السياسي) نجد هذه البنية حاضرة من خلال مجموعة من العبارات من قبيل: "تبعا للقرار الذي تم اتخاذه..."تم تأكيدها مخبريا بمعهد باستور.."، في إطار تعزيز التدابير....، رغبة في إنجاح الحجر الصحي...، بعد تسجيل تزايد في حالات الوفيات...، حفاظا على صحة وسلامة....، تقرر تأجيل الامتحان إلى وقت لاحق....

وكثيرة هي الأبعاد التي يمكننا من خلالها دراسة كيفية اشتغال اللغة ضمن خطاب أزمة كوفيد-19، ومنها طبيعة الجمل الموظفة، وطبيعة الترابط المنطقي بينها وأدواته، وتنوع الضمائر بين ما يحيل على المتكلم وما يعبر عن المخاطب، والدلالات التي تفرزها سواء كانت تعبيرا عن الإدماج أو الإقصاء أو عن دلالات أخرى، وكذا الاستراتيجيات الخطابية الموظفة، وما يخفيه الخطاب الواحد ضمنيا من خطابات أخرى تشكل ظاهرة التناص...وما إلى ذلك مما تعلن عنه اللغة عبر الخطاب وتفرض من خلاله تأثيرا معينا.

---

41 – المرجع نفسه، ص15.

42 – Maha Abdelrahman, P.1164 .

43– عبد العزيز، لحويدق، ندوة علمية رقمية بعنوان: خطاب الوباء، من تنظيم جمعية البلاغيين المغاربة بتنسيق مع جريدة العمق، 2020، تم الاطلاع بتاريخ: 10يونيو2020 https://www.youtube.com/watch?v=6phndL2nVQs

44– محمد لطفي، الزليطني، من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، مجلة الخطاب، ع.17، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، يناير 2014، ص16

45 – المرجع نفسه، ص17.

في مقابل اشتغال اللغة بوصفها آلية لبناء خطاب الأزمة، قد يسهم هذا الأخير إلى حد كبير في تشكيل اللغة أيضا وتطويرها؛ فتغدو العلاقة بذلك تأثيرية تأثرية، وهذا ما شهده سياق أزمة كورونا، "ففي أوقات الأزمة، لاسيما الكبرى منها، نشعر غالبا أننا في حاجة إلى كلمات جديدة، وأن كلماتنا ولغتنا باتت فجأة بالية وغير ملائمة للعالم الغريب والمقلق الذي نعيش فيه، بعض مصطلحاتنا القديمة تبدو خرفاء للغاية، وبعضها تبدو عاجزة عن أن تسعف المعنى السريع والمعولم الذي نريده، وبعضها تفشل في التقاط جوهر خوفنا وحزننا واغترابنا !نعم فالتغيير الاجتماعي الكبير يؤدي-تحت ضغط الحاجة- إلى تغيير لغوي كبير"[46]، فمثلما تؤثر اللغة في الحياة الاجتماعية وتحدث فيها تغييرا فكذلك هذه الأخيرة قد تحدث تحولا وتطورا في مفردات اللغة ومعجمها؛ وهذا ما أنتجه الرحم اللغوي في سياق أزمة كورونا حيث تفاجأنا بكم هائل من المصطلحات التي يعد بعضها قديما تم إحياءه وبعضها تم ابتكاره بمناسبة السياق، ومن أمثلة ذلك التسميات التي أطلقت على الفيروس، حيث كانت حكرا على أهل التخصص فأتاح السياق تداولها وانتشارها، مثل: كوفيد، سارس كوفيد، الفيروس التاجي، الجائحة، الوباء، المرض، كورونا...وكذا بعض المفردات التي عبرت عن الوسائل البديلة في التعلم فحضرت في الخطابات السياسية لقطاع التعليم: التعليم عن بعد، منصة زووم، أقسام افتراضية، التناوب، التعليم الحضوري...، وفي قطاع الصحة: التدابير الاحترازية، الحجر أو العزل الصحي، التباعد الاجتماعي...

وقد أسهم هذا التطور في اللغة في توحيد الخطاب العالمي حيث استخدمت دول العالم المفردات نفسها وفي السياق نفسه، كما أن المصطلحات لم تلزم فقط الخطابات الرسمية، وإنما تجاوزت ذلك لتُتَداول لدى عامة الناس وفي الحياة الاجتماعية العامة، وهنا تبرز قوة اللغة وسلطتها وهيمنتها التي عززها خطاب الأزمة، ومما يدل على هذه المكانة الاعتبارية للغة، ماعبر عنه الصينيون في تجربتهم خلال الجائحة؛ حيث أسسوا ما يسمى بـ"لغويات الطوارئ" إيمانا منهم بضرورة حضور علماء وخبراء اللغة إلى جانب كافة الخبراء في مجالات الأوبئة والعلوم والطب، قصد مكافحة الجائحة وتجنب سوء التواصل والفهم، والسيطرة على الخلافات الناجمة عن استخدامات اللغة في حالات الطوارئ العامة، والحرص على مخاطبة الناس بكل صدق وشفافية[47].

ب-السلطة في خطاب الأزمة

شهد مفهوم السلطة اهتماما مكثفا من قبل تخصصات ومجالات مختلفة، أهمها الفلسفة والتاريخ واللغة والعلوم السياسية، ومن التعريفات الشائعة للمفهوم في المجال الأخير ما ورد لدى"فليب بروPhilippe Braud" عندما اعتبرها بمثابة الرأسمال الاقتصادي، بحيث أن امتلاك السلطة يفترض وجود مالك أو حائز.[48] ومن هنا تصبح

46 – عثمان، صلاح، لغة كورونا: الابتكارات اللغوية والثراء المعجمي في الأزمات، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، 2020، ص2-3

47 – المرجع نفسه، ص13.

48– فليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط1 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1998) ص 23.

السلطة في نظره هي المقدرة على القيام بفعل ما قد يكون ذو طبيعة مادية أو قانونية.[49] كما يرى أن السلطة تتمثل في قدرة فاعل ما على بناء عمليات تبادل غير متوازنة لصالحه بشكل دائم.[50]

تتخذ السلطة في تعريفات أخرى طابعا اجتماعيا، حيث عرفها "فان دايك" بأنها ترادف مفهوم السيطرة: وهو التحكم في أفعال الآخرين وتصرفاتهم، وهذا يعني سيطرة مجموعة واحدة على مجموعات أخرى وعلى الأفراد التي تتكون منها هذه المجموعات، وإذا كانت هذه الأفعال أفعالا تواصلية –أي خطابا-فإننا نتعامل مع السيطرة على خطاب الآخرين، وهي إحدى الوسائل الموضحة لعلاقة السلطة بالخطاب، وقد جعل فان دايك للسلطة وجها آخر سماه "الهيمنة" وهو ناتج عن سوء توظيف السلطة، وذلك إذا كان التحكم في المجموعات أو الأفراد يصب في مصلحة أولئك الذين يمارسون هذه السلطة، وضد مصلحة الذين تتحكم بهم[51].

لم يحل مفهوم السلطة في دلالته فقط على البعد السلبي في ارتباطه بالهيمنة وسوء الاستخدام والتحكم، وإنما عبر عن الإيجابية؛ فمن الواضح جدا إمكانية توظيف السلطة لأغراض محايدة أو إيجابية متعددة، كما هو الحال عندما يعلم الآباء والمعلمون الأطفال، وعندما تقوم وسائل الإعلام باطلاعنا على الأخبار، والساسة بحكمنا، والشرطة بحمايتنا، والأطباء بعلاجنا، كل يعمل بحسب إمكانياته الخاصة[52]، وهذا البعد هو ما يعنينا في مناقشتنا لدلالة السلطة في خطاب أزمة كورونا؛ حيث سنحدد كيفية اشتغال السلطة في مجموعة من الخطابات التي شكلت خطاب الأزمة، وما مدى تأثيرها على الخطاب العام والحياة الاجتماعية العامة، فضلا عن بيان الصراع حول السلطة والشرعية الذي كان سائدا ضمن خطابات الأزمة؛ وبتعبير أدق سنحاول الإجابة عن سؤال جوهري وهو: كيف تشكلت السلطة في خطاب أزمة كورونا؟ وكيف مارس هذا الأخير بدوره سلطة على الخطاب العام في الحياة الاجتماعية؟

شاب الساحة العالمية فور إعلان ظهور فيروس كورونا عدة صراعات ترتبط بتفسير ماهيته ومصدره وأعراضه وكل تداعياته، تجاذبتها مجموعة من الخطابات؛ فالخطاب الديني عبر عن أن الفيروس قدر محتم وابتلاء من الله، وغضب إلهي، وفرصة للتكفير عن الذنوب والأخطاء، وإعادة النظر في الأمور الدنيوية، والتأمل في المآل والموت (الوباء من علامات الساعة)، بينما أدلى الخبراء في العلوم بآراء متضاربة حول طبيعة هذا الفيروس وكيفية انتشاره، والأعراض التي يسببها، ومدى قدرته على الانتشار وطرق الوقاية والحماية وهل هو مؤد للموت أم قابل للعلاج، أما الخطاب السياسي فقد كان ناقلا للقرارات التي تتخذ بشأن التدابير وطرق الحماية وإجراءاتها، إنه خطاب مدبر للأزمة بكل تفاصيلها، فهو ما يعكس كلمة صناع القرار، ومن يمتلكون زمام السلطة السياسية، بالإضافة إلى ذلك شغل الخطاب الإعلامي الرأي العام بتوجيهاته وبلاغاته التي كانت تواكب تطور انتشار الفيروس وتوجه إدراك الجمهور للأزمة وتداعياتها، دون أن ننسى الخطاب الذي يمكن اعتباره شاملا ومتضمنا لكل الأنماط

49- المرجع نفسه، ص 24

50- المرجع نفسه، ص 38

– توين فان دايك، الخطاب والسلطة، ت.غيداء العلي، ط.1 (القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014)، ص. 4451

52 – المرجع نفسه، ص59.

السابقة؛ وهو الخطاب الرقمي بكل وسائله وأشكاله (بما فيها استجابات الجمهور أو عامة الناس) التي شكلت سلطة مشروعة فرضها سياق الأزمة.

استنادا إلى ماسبق، يمكن القول أن خطاب الأزمة استمد قوته من شرعية كافة أشكال الخطاب، والتي عبرت عن القوة، "فالقوة في الخطاب هي مسألة تتعلق ببعض الناس الذين يمارسون قوة على آخرين من خلال الخطاب. يمكن أن يأخذ هذا الأمر أشكالا متنوعة، كما يشتمل على مشاركين أقوياء يضبطون ويحتوون مساهمة مشاركين أقل قوة، ويمكن أن يصل الأمر في بعض الأحيان إلى شكل من أشكال الإكراه...وبذلك فهم يؤثرون بشكل محتمل على كيف يرى الجمهور عناصر العالم ويعملون وفقها، وبذلك فالقوة في الخطاب تنتج قوة ما وراء الخطاب بتعبير نورمان فيركلاف(1989) [53]، وقد انطبق هذا بشكل جلي في الخطابات السياسية التي تعد مسؤولة عن اتخاذ القرارات، والتي تعد القوة أحد أسباب ذلك كما أشار "فيركليف"؛ حيث تزود القوة الوكلاء بأسباب من أجل العمل: أسباب لإطاعة السلطة الشرعية، أو أسباب يتم تجنبها أو تبحث عن نتائج معينة؛ أسباب مشروعة أو أسباب يتم تصورها فقط على أنها شرعية[54].

إن المقصود بالوكلاء هم مختلف الفاعلين في الخطابات السالفة الذكر، والذين يملكون شرعية يستمدونها من مصادر مختلفة، ومن أمثلتهم من سماهم "فان دايك" النخب الرمزية في صيغ التعبير عن الخطاب، كالصحفيين والفنانين...وغيرهم من المجموعات التي تمارس السلطة على أساس "رأس المال الرمزي"، وتتمتع هذه النخب بحرية نسبية، ونتيجة لذلك تمتلك السلطة النسبية لاتخاذ القرار في نوع الخطاب وتحديد الموضوعات، والأسلوب، أو تقديم الخطاب ضمن نطاق سلطتها، ولا تقتصر سلطة النخب الرمزية هذه على صيغ التعبير وإنتاجه فحسب، بل تمتد-أيضا- إلى السيطرة على الخطاب العام، أي قد تتحكم النخب الرمزية في ترتيب أهمية الموضوعات الخاضعة للمناقشة العامة، وموضوعات السلطة، وتنظيم كم معلومات الخطاب ونوعه، لاسيما ما يصور للجمهور، وتحديد طريقة تصويره، فهذه النخب هي المنتج للمعارف العامة والمعتقدات والمواقف والمعايير والقيم والأخلاق والإيديولوجيات، ومن ثم تمثل سلطتها الرمزية –أيضا-نمطا من أنماط السلطة الإيديولوجية[55].

تتجسد هذه النخب في مجموعة من الشخصيات التي أكسبها سياق الأزمة في المغرب شرعية قوية في خطابات مختلفة؛ حيث نجد الشخصية الإعلامية :المرحوم صلاح الدين الغماري في الخطاب الإعلامي (استخدام الدارجة المغربية في الخطاب وسياسة القرب من الجمهور)، ومحمد اليوبي (عن مديرية الأوبئة) في نشرات الأخبار حول تتبع الحالة الوبائية(سلطة الأرقام التي تجسد عدد الحالات المصابة بالفيروس)، والجيلالي الأخضر في الخطاب الرقمي، وبعض الفنانين الذين ساهموا في الحملات الدعائية والإشهارية، وبعض صناع المحتويات الرقمية، وعلماء وخبراء في علم الأوبئة(السلطة المعرفية)...وغيرهم من الفاعلين في مختلف الخطابات، والذين

53 –نورمان فيركليف، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ت.طلال وهبه، ط.1 (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009) ص.247.

54 – المرجع نفسه، ص245.

55 – توين فان دايك، ص.85.

أسهموا بشكل فعال في تشكيل الإدراك العام لطبيعة الأزمة، وكذا التخفيف من تداعياتها وحدتها، وأحيانا في إثارة المخاوف وإرباك الجمهور في بعض الخطابات.

ومن السبل التي توظفها النخب في ذلك اعتماد الخطابات التي تمتلك وظيفة تداولية توجيهية أو فعلا كلاميا، واعتماد أنواع خطاب إقناعية كالإعلانات والدعاية، واعتماد أنواع خطاب تنبئية كالتوقعات والسيناريوهات المحتملة، واعتماد السرد بصورة كبيرة في شكل روايات أو أفلام. وهذا ما يخلق الإجماع حول السلطة القائمة، ويحدد رغبات المجموعات القوية. ونجد لهذه الأنواع الخطابية آثارا في المستوى اللغوي[56]، وذلك عبر التنويع في الاختيارات المعجمية والبنيات التركيبية، فضلا عن استخدام الضمائر ومختلف الاستراتيجيات الخطابية التي تدعم الإيطوس اللغوي وتعززه.

أسهمت مختلف الخطابات التي أنتجتها النخب الرمزية بصرف النظر عن انتماءاتها في بناء شرعية تستند إلى ترشيد كافة التوجيهات والتدابير المتخذة في سياق أزمة كورونا وجعلها تبدو أكثر عقلانية وقبولا لدى عامة الناس بوصفها حتمية لا مفر منها، وما الالتزام بها سوى واجب وطني مشترك يعزز قيم المسؤولية والتضامن بين أفراد المجتمع، وقد قدمت في هذا الصدد مختلف التفسيرات العلمية والأسباب المنطقية التي يمكنها أن تحقق الاقتناع بأن الالتزام التام بالتدابير الاحترازية والامتثال لها هو شرط أساسي لضمان الصحة الجيدة لكافة المواطنين، ومن أبرزها الاستشهاد بالخبراء و الاستدلال بالاستنتاجات العلمية في مجال الصحة.

فضلا عن السلطة القيمية والعلمية يحضر "الميثوبويسيس Mythopoesis"[57] كآلية لبناء شرعية الخطاب ومصداقيته، فبوصفه أداة تستخدم لخلق سرديات بطولية تخدم الأهداف السياسية تم استثماره في سياق أزمة كورونا، عبر التركيز على كيفية مواجهة الأزمة والتغلب عليها، وذلك من خلال بناء سردية بطولية للأطر من أطباء وممرضين وكافة العاملين بقطاع الصحة...باعتبارهم رموزا لقيم التضحية والإيثار، وذلك ما يعزز الشعور بالوحدة والتضامن ويشجع كافة المواطنين على الالتزام بالتدابير الصحية لحماية أنفسهم وذويهم من عدوى الفيروس.

تنطبق عناصر بناء المشروعية في الخطاب على معظم خطابات أزمة كورونا مع اختلافات طفيفة تمليها خصوصية كل خطاب، وتنوع أصحابه ومنتجيه؛ فبقدر ما كانت هذه الخطابات مندمجة ومتداخلة، بالنظر إلى أن الأزمة واحدة والهدف أسمى وموحد، إلا أنها في كثير من الأوقات كانت تعلن عن الصراع حول السلطة والمشروعية؛ وهو ما أسهم في بناء خطاب عام وهو خطاب الأزمة الذي استمد مصداقيته من وسائط متعددة تشمل المرئي والمكتوب والمسموع والرقمي...إنها شرعية متعددة الوسائط "Multimodal Legitimation"[58]بتعبير "ثيو فان ليفن Theo Van Leeuwen "فرضت بدورها سلطة وتأثيرا في الفضاء العام وكذا في الخطاب العام.

---

56 – سعيد، بكار. بلاغة النقد، ط1 (المغرب، افريقيا الشرق، 2024)، ص65.

57 –Theo, Van Leeuwen, Légitimaion in discourse and communication, Discourse and communication, Vol 1(1), Sage publication, London, 2007, p105-107

58 - Theo, Van Leeuwen . 2007, p107.

مارس خطاب الأزمة تأثيره المادي في الفضاء العام فأفرز بذلك عدة مشكلات اجتماعية، يرتبط بعضها بتكلفة المعيشة، وتوفير الغذاء، والأمن والعناية الصحية...وغيرها من الحاجات الإنسانية، لكنه في مقابل ذلك أثر في الخطاب العام، حيث شغل الحياة الاجتماعية والتواصل العمومي والشخصي والمؤسساتي في كافة أنحاء العالم، فأضحى بذلك الموضوع المركزي الذي عوض الاهتمامات التي اعتاد الناس التحدث عنها، بل هيمن كذلك على معظم قضايا الشأن العام، بما فيها الاقتصادية والرياضية والفنية...وغيرها، حيث أصبح الحديث منصبا على تأثير الأزمة الصحية العامة في هذه المجالات دون النظر إليها أو مناقشتها بشكل خالص؛ إنه احتلال خطابي مارسه خطاب الأزمة على الخطاب العام[59]؛ فاحتل بذلك حتى أحاديث التواصل اليومي لدى عامة الناس، الذين اعتادوا الدردشة بخصوص حيواتهم الشخصية والأحوال المادية والاجتماعية الخاصة، فتحول اهتمامهم إلى مناقشة ذلك لكن في علاقته بسياق تفشي الفيروس وتداعيات انتشاره وإجراءات الوقاية منه.

بموجب الاحتلال الخطابي الذي مارسه خطاب أزمة كورونا، يمكن اعتبار الأزمة في حد ذاتها أيضا أداة هيمنة، فقد مارست سلطتها في تشكيل مختلف الخطابات التي بنت خطاب الأزمة، لتوظف بعد ذلك هذا الأخير في فرض السيطرة على الحياة الاجتماعية العامة، بل وتجاوزت ذلك لتستخدم كوسيلة لصناعة القرارات؛ وقد عبر عن ذلك الفيلسوف "جورجيو أغمبن Giorgio Agamben" قائلا: "اليوم أصبحت الأزمة أداة هيمنة، فهي تستخدم من أجل شرعنة القرارات السياسية والاقتصادية التي تقوم في واقع الأمر بتجريد المواطنين وحرمانهم من كل إمكانية للقرار"[60]، وذلك بالضبط ما حدث، حيث تم استخدام الأزمة وسياقها كآلية للضبط والتنظيم من قبل القياد وأعوان السلطة ورجال الدرك والشرطة...وغيرهم من الفاعلين الذين يشكلون امتدادا للسلطة المركزية، فتم على إثرها إفراغ شوارع المدن من الباعة الجائلين والقضاء على الاقتصاد غير المهيكل، ومحاربة احتلال الملك العمومي، فضلا عن تنظيم أوقات خروج المواطنين ودخولهم إلى منازلهم، والتحكم في العلاقات الاجتماعية والتجمعات؛ ومنه نستخلص أن الأزمة يسرت وسهلت شرعنة القرارات وتنفيذها في الحياة العامة.

59 – عماد عبد اللطيف، الخطاب حول كورونا كيف نتحدث مع الناس بشأن المرض؟، بوابة الشروق، القاهرة، 2020.

60 – فتحي، المسكيني، حالة الأزمة في العالم المعاصر وإلى أين يتجه العالم والإنسان؟، التفاهم، ع.68، مج.18، 2020، ص86.

خاتمة:

خلاصة القول، يبدو أن خطاب أزمة كورونا هو خطاب مركب، شكلته مجموعة من الخطابات لفاعلين مختلفين، ضمن بيئة اجتماعية تفاعلية وديناميكية، ولا سبيل لاكتشافه ودراسته سوى منظور عابر للتخصصات والذي يحتوي بدوره على مقاربات متعددة تتيح تعميق التحليل؛ إنه التحليل النقدي للخطاب الذي يدرس في أساسه المشكلات الاجتماعية، وذلك بالتركيز على معالجة الأبعاد المختلفة للعلاقة بين الخطاب والسلطة، وبما أن دراسة سلطة الخطاب يتجسد عبر اللغة وبها، فقد آثرنا تقديم تصور نظري حول العلاقة الجدلية بين إطار التحليل النقدي للخطاب بأدواته وآلياته وخطاب الأزمة بوصفه استراتيجية تواصلية نهجها كل من تفاعل مع سياق أزمة كورونا سواء بشكل رسمي أو غيره.

وقد استندت دراسة العلاقات بين الخطاب والسلطة واللغة إلى أرضية خطابات مختلفة لفاعلين متنوعين، تتأرجح بين السياسي والإعلامي والديني والرقمي...وغيرها من الخطابات التي أسهمت في بناء خطاب الأزمة وتشكيله، ولما كانت اللغة آلية لبناء الخطاب، فقد سلطنا الضوء على مظاهرها وتجلياتها وكيفية اشتغالها وتوظيفها لأدواتها التعبيرية والمعجمية والتركيبية، وقد توصلنا وفق ذلك إلى أن العلاقة بين اللغة وخطاب الأزمة هي علاقة تأثيرية وتأثرية، فبقدر ما تسهم اللغة بأدواتها في بناء الخطاب، طور هو بدوره نسق اللغة في سياق الأزمة عبر خلق قاموس جديد وتوليد ثراء معجمي مكثف.

وبالنظر إلى أن السلطة موضوع مركزي لدى منظور التحليل النقدي للخطاب، فقد ناقشنا حضورها في مختلف الخطابات التي شكلت خطاب الأزمة، والذي كان حضورا قويا استلهم من شرعيات تتوزع بين الديني والعلمي والسياسي والاجتماعي، والتي وظفت هي الأخرى وسائل لإثبات المصداقية والشفافية في خطاباتها؛ ليفرز خطاب الأزمة هو بذاته سلطة أثرت في الخطاب العام، فأصبحنا أمام احتلال خطابي مارسه خطاب الأزمة على خطابات الحياة الاجتماعية العامة، فغدت بذلك أدوار السلطة متبادلة وتفاعلية، بل إنها طالت حتى الأزمة لتصبح أداة للهيمنة وشرعنة القرارات السياسية التي كان مستعصيا تحققها من قبل.

وبناء على ماسبق، يبدو أن التفاعل مع أزمة كوفيد- 19 ولد مجموعة من الخطابات التي شكلت في مجملها ما سميناه "خطاب الأزمة" سواء قصد التوجيه والتحذير، أو لسن القرارات السياسية، أو للدعاية والإشهار، فالموضوع واحد وهو التفاعل والاستجابة مهما كانت إيجابية أو سلبية أو محايدة، وهي تفاعلات متنوعة خلقت جدالا في الحياة الاجتماعية العامة، والذي كشف بدوره عن سلطة خطابية جلية.

لائحة المراجع المعتمدة

- **المراجع باللغة العربية**

الكتب والقواميس:

-ابن فارس أحمد. معجم مقاييس اللغة، ج.1، لبنان: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط.1، 1999؛

-ابن منظور الإفريقي. لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، مج.5، 2004؛

- باتريك شارودو ودومينيك مانغونو. معجم تحليل الخطاب، ت.عبد القادر المهيري- حمادي صمود، تونس: المركز الوطني للترجمة، 2008؛

- برو فليب ، علم الاجتماع السياسي، ت. محمد عرب صاصيلا، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1998؛

- بكار، سعيد. بلاغة النقد دراسات في التحليل النقدي للخطاب، ط،1 المغرب: افريقيا الشرق، 2024؛

- الصديقي، محمد. بلاغة الخطاب السياسي، الاستعارة وبناء المعنى، ط.1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2021؛

- عبد اللطيف، عماد. تحليل الخطاب السياسي البلاغة المقاومة السلطة، ط1، الأردن: دار كنوز المعرفة، 2020؛

-فان دايك، توين. الخطاب والسلطة، ت.غيداء العلي، ط.1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014؛

- فوكو، ميشيل. نظام الخطاب، ت. محمد سبيلا، ط.3، لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2012؛

-الفيروز آبادي. القاموس المحيط، ضبط وتوثيق محمد البقاعي، ط.1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003؛

- فيركليف، نورمان. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ط.1، ت.طلال وهبه، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009؛

- كونستانتين، سالافاسترو. البلاغة والسياسة سلطة الخطاب وخطاب السلطة، ت. عبد القادر ملوك، ط.1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2021؛

المقالات والدراسات:

- الابراهيمي، زكرياء وآخرون ، خطاب الجائحة رؤى ومقاربات، ط.1، مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات و النشر والاتصال ، 2020؛

- بكار، سعيد. التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، مج.16، ع.2،2021؛

- دادة، رشيد. استراتيجيات الإقناع والتبرير في الخطاب السياسي المغربي المعاصر، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر، 2019؛

-الزليطني، محمد لطفي. من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، مجلة الخطاب، ع.17، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر؛ يناير 2014؛

-الزيتوني، حميد وآخرون، خطاب الجائحة رؤى ومقاربات، ط.1، مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، 2020؛

- ربيع أوطال وآخرون. تحليل خطاب السخرية في زمن كورونا، ط2، مراكش: مركز تكامل للدراسات والأبحاث، 2021؛

- صلاح، عثمان. لغة كورونا: الابتكارات اللغوية والثراء المعجمي في الأزمات، القاهرة: المركز العربي للبحوث والدراسات، 2020؛

- عبد اللطيف، عماد. الخطاب حول كورونا كيف نتحدث مع الناس بشأن المرض؟ القاهرة: بوابة الشروق، 2020؛

- غضبان محمد، نادية. الأوبئة في خطاب الأزمة، مجلة خطابات، ع.4، دجنبر2021؛

- فتح، هشام وآخرون. خطاب الجائحة رؤى ومقاربات، ط.1، مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات و النشر والاتصال،، 2020؛

- المسدي، عبد السلام. اللغة والسياسة، مجلة ثقافات، ع.21، بتاريخ01يناير2008؛

- المسكيني، فتحي. حالة الأزمة في العالم المعاصر وإلى أين يتجه العالم والإنسان؟، التفاهم، مج.18،ع.68، 2020؛

- يطاوي، محمد وآخرون. التحليل النقدي للخطاب: مفاهيم ومجالات وتطبيقات، ط.1، برلين: المركز الديموقراطي العربي، 2019؛

<u>الندوات الإلكترونية:</u>

- بكار، سعيد.2023، التحليل النقدي للخطاب (دراسة في المفهوم والمقاربات)، محاضرة في قناة بيت اللسانيات، تم الاطلاع بتاريخ: 06يونيو2023

https://www.youtube.com/watch?v=F3V7oE-VMUk&t=24s

- عبد اللطيف، عماد.كيف نحلل خطابا عربيا؟ محاضرة علمية عن بعد، منصة Google Meet، جامعة البصرة، كلية التربية/القرنة، 2021، تم الاطلاع بتاريخ: 22-08-2023

https://www.youtube.com/watch?v=cm3W4GhRKj0

- لحويدق ، عبد العزيز. ندوة علمية رقمية بعنوان: خطاب الوباء، من تنظيم جمعية البلاغيين المغاربة بتنسيق مع جريدة العمق، 2020، تم الاطلاع بتاريخ: 10يونيو2020

https://www.youtube.com/watch?v=6phndL2nVQs

- لكريني، ادريس. ندوة علمية رقمية بعنوان: خطاب الوباء، من تنظيم جمعية البلاغيين المغاربة بتنسيق مع جريدة العمق، 2020، تم الاطلاع بتاريخ: 10يونيو2020

https://www.youtube.com/watch?v=6phndL2nVQs

- المراجع باللغة الأجنبية

- Abdelrahman , Maha . Covid-19 and the meaning of crisis, Development and change, Published on behaf of the social studies, The Hague, 2022.

- Van Leeuwen Theo, Légitimaion in discourse and communication, Discourse and communication, Vol 1(1), Sage publication, London, 2007.